مناهج تفسير القرآن الكريم في مدرسة أهل البيت عليهم السلام

- الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام ودوره في تفسير القرآن أنموذجاً -

الدكتورة زهراء علي دخيل
دكتوراه دولة في اللُّغة العربيَّة وآدابها، الجامعة اللّبنانيَّة، لبنان
profzahraa@gmail.com

Methods of interpretation of the Noble Qur'an in Ahl al-Bayt School (peace be upon them) Imam Muhammad bin Ali Al-Jawad (peace be upon him) and his role in interpreting the Qur'an as a model

Dr. Zahraa Ali Dakhil
PhD in Arabic language and literature, Lebanese University, Lebanon

الملخص:-

إنّ القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع الإسلاميّ، والمعين الصافي للثقافة الإسلامية، التي اختارها الله تعالى لسمو الإنسان وسعادته في النشأتين، وقد تعاهد أهل البيت وفقاً لتكليفهم الإلهي لقيادة الأمة القرآن الكريم تلاوة وحفظاً وتفسيراً يكشف ما فيه من مراد الله تعالى، وصيانةً له عن أيدي العابثين وانتحال الجهلة والمبطلين.

ولأهميّة الرجوع إلى الأئمّة عليهم السلام في تفسير كتاب الله تعالى آثرنا في هذا البحث المتواضع أن نعرج على ما أُثر من التفسير عن طريق الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام فاخترنا عدداً من الآيات المباركة التي تضمّنتها تفاسير العلماء، وكتب الحديث لنكون على بيِّنة من تراث أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: الإمام الجواد عليه السلام، تفسير القرآن، التفسير بالمأثور.

Abstract:-

The Holy Qur'an is the first source of Islamic legislation, and the pure helper of Islamic culture, chosen by God Almighty for the highness of man and his happiness in both upbringings. And to protect it from the hands of the abusers and the impersonation of the ignorant and false.

And due to the importance of referring to the Imams (peace be upon them) in the interpretation of the Book of God Almighty, we preferred in this modest research to review the influence of interpretation through Imam Muhammad bin Ali Al-Jawad (PBUH). From the heritage of Ahl al-Bayt (peace be upon them) in the interpretation of the Holy Quran.

Key words: Imam al-Jawad (pbuh), interpretation of the Qur'an, interpretation by tradition.

الهدف:

التأمُّل في خطب الإمام الجواد ووصاياه، ومواعظه، وكلماته القصار، فضلًا عن الوقوف على مواطن استشهاد الإمام بالقرآن الكريم فيها، أو تمثيل القرآن الكريم عبر إعادة صياغة العبارة، أو ذكر عبارة لها صلة بالقرآن، وذلك للكشف عن أنّه كان مصداقًا لكتاب الله العزيز في كل ما صدر منه، أو أنّه مَثَّل القرآن خير تمثيل.

أهمّيّة البحث:

بيان بعض من هذه العلوم المُهمّة والمختلفة من علوم القرآن، بما أثر عن الإمام الجواد عليه السلام بوصفه أحد الثقلين اللذين أوصانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في التمسُّك بهما: ((إني مخلف فيكم الثقلين، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض)) فهو من أولئك الذين أجلوا غوامض القرآن وعلومه، وتعمّقوا في الكشف عن أهميته، وتأكيد حقيقته.

المقدّمة:

أولى الإمام الجواد عليه السلام علوم القرآن اهتمامًا بالغًا كون القرآن مصدر التشريع، والثّقل الأول الذي أمرت الأمّة باتباعه؛ فقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: "إني تارك فيكم الثقلين،كتاب الله وعترتي أهل بيتي"[1]، ففي علوم التفسير نجد منهج الإمام عليه السلام قائم على الاستهداء بالقرآن لتفسير آياته الكريمة.

لقد عُرف بعض أصحاب الإمام الجواد بعلم التفسير كأبي طالب عبد الله بن الصلت القمي الذي قيل عنه بأنه مسكون إلى روايته[2].

من علوم القرآن (علم القراءات) ويعنى بالبحث عن قراءة القرآن، إذ كانت هناك عدة قراءات، وقد عرف بعض أصحاب الإمام الجواد بتميزهم بهذا العلم، ومنهم القارئ أبو يحيى إبراهيم بن أبي البلاد يحيى الكوفي[3].

ثم إنّ مدرسة الإمام الجواد عليه السلام لم تكن مقتصرة على جانب من جوانب المعرفة، بل إنها اتسعت لتشمل كل جوانب المعرفة الإنسانية؛ إذ إنّ هذه المدرسة هي المدرسة المُحمّدية التي مثّلت الشريعة الإسلاميَّة خير تمثيل، وبما إنّ هذه الشريعة شاملة لكل جوانب الحياة

﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[٤] لذا، كانت مدرسة الإمام الجواد شاملة لجميع مناحي الفكر كعلوم أصول الدين (العقائد)، وعلوم فروع الدين (الفقه)، وعلوم القرآن وعلوم الحديث، وعلم الرجال (رواة الحديث)، وعلوم اللغة، والنحو، والمنطق، وفنون الأدب، والشعر، والتاريخ، وغير ذلك.

أحاول، في هذا البحث المتواضع، تبيان ما ورد من تفسير بعض الآيات المباركة عن الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام كما أشارت إليه كتب التفسير والحديث، وقد تم استعراض تفسير ستة عشرة آية مباركة.

إنّ اختياري لهذه المجموعة، في هذا البحث، - على قلتها - تعدُّ - كما أظن - محاولة في فهم دراسة آثار الأئمة عليهم السلام في مجال الدراسات القرآنية سواء كان ذلك تفسيراً، أو بحثًا، أو تعليقًا وأثر ذلك على الاهتمام العام بالقرآن الكريم وما يتعلق به من جميع جوانبه وما للتفسير من أثر كبير في ذلك.

أولاً: معنى التفسير بالمأثور:

أ- التفسير (لغة):

الفَسْرُ البيان التفسيرُ مثله، استفسَرَهُ كذا سأَلَهُ أنْ يفسِّرَهُ[٥].

وقيل: الفَسْرُ البيان فَسَر الشيء يفسره بالكسر، وتَفْسُرُه بالضم فَسْراً، وفَسَّرَهُ أبانه، والتفسير مثله[٦].

ب- التفسير (اصطلاحاً):

قال السيد الخوئي في البيان: إيضاح مرادِ الله تعالى من كتابه العزيز[٧].

وقال السيد الطباطبائي في الميزان: هو بيانُ المعاني القرآنيّة، والكشفُ عن مقاصدها ومداليلها[٨].

إنَّ هذين المعنيين للتفسير اصطلاحاً يهدفان إلى بيان أمر عظيمٍ واحد وهو فهم الخطاب القرآني الذي خاطب الله تعالى به الإنسان، ليكون على بيِّنة من تشريع هذا الدستور الإلهيّ الذي يهدف به إلى تنظيم حياة الإنسان، سواء الحياة الفرديّة أم الاجتماعيّة، وما يتعلق بها...

ج- الأثر (لغة):

الأثر: بقيةُ ما يُرى من كُلّ شيء، وما لا يُرى بعد ما يبقى علقة، وأثر السيف ضربته، وأثروا الحديث: أنْ يأثره قوم عن قوم؛ أي يحدِّثُ به في آثارهم، أي بعدهم[٩].

وقيل: الأثرُ بقيةُ الشيء، والجمع آثار وأثور، والأثرُ: ما بقي من رسم الشيء، والآثار: الأعلام، والأثر: الخبر والجمع آثار.

وسنن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآثاره. والأثر مصدر قولك: أثرتُ الحديث آثُرُهُ إذا ذكرته عن غيرك، وفي حديث علي عليه السلام في دعائه على الخوارج: ولا بقي منكم أثر؛ أي مخبر يروي الحديث...ومن هذا قيل: حديث مأثور؛ أي يخبرُ الناس به بعضهم بعضاً؛ أي ينقله خلفٌ عن سلف[١٠].

د- الأثر (اصطلاحاً):

هو أعمّ من الخبر والحديث، فيقال لكل منهما أثر بأي معنى اعتبر. وقيل: الأثر مساو للخبر. وقيل: الأثر ما جاء عن الصحابي، والحديث ما جاء عن النبي، والخبر أعمّ منهما[١١].

بناءً على ما تقدَّم، فيكون كل ما ورد من تفسير القرآن الكريم عن طريق أئمة أهل البيت عليهم السلام فهو من التفسير بالمأثور كما اصطلح عليه العلماء والمفسرون، وفي ذلك من الأهمّية الكبيرة التي يجب على كل مفسر أن يراعيها إذا أراد أن يفسر كتاب الله تعالى، ويؤكد هذا المعنى العلّامة الطباطبائي في الميزان من حيث الاعتماد على الروايات في التفسير من خلال فهم سليم للقرآن الكريم فيقول: (قد تبيّن من البحوث السابقة أنَّ واجب المفسّر هو ملاحظة الأحاديث الواردة في التفسير عن النبي وأئمة أهل البيت عليهم السلام والغور فيها ليعرف طريقتهم ثم يفسّر القرآن الكريم بالمنهج الذي يُستفاد من الكتاب والسُّنَّة، ويأخذ بالأحاديث التي توافق الكتاب ويطرح ما عداها)[١٢].

ثانياً- تفسير القرآن بالقرآن: -

إنَّ هذا النوع هو أول وأهم نوع لبيان مراد كلام الله تعالى حيث لا شك أنَّ القرآن أنقى مصدر لتبيين القرآن بنفسه، لأنه ينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض[١٣].

بل يتفق المفسرون كما يرى الزركشي أنَّ أحسن طريق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فقد فصِّلَ في موضع آخر، وما اختصر في مكان فإنه بسط في مكان آخر(١٤).

اعتمد الإمام الجواد في تفسير آيات القرآن الكريم على مصادر عدّة، منها: تفسير القرآن بالقرآن. تعَدُّ هذه القاعدة منهجًا من مناهج التفسير وهي أحد أقسام المنهج النقلي (تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالرواية)، وهذا المنهج من أقدم المناهج المتبعة في تفسير القرآن الكريم، وقد أستحسن جميع المفسرين والمتخصصين هذه الطريقة في التفسير إلا بعض الإخباريين على ما يفهم من أدلّتهم(١٥).

إن المُتتبّع لموسوعات الحديث الشريف، إضافة إلى بعض التفاسير يرى أنه قد تمّت الإشارة في أحاديث عدة إلى اختصاص الأئمة عليهم السلام بمعرفة تفسير القرآن الكريم دون غيرهم؛ لأنهم عدل القرآن كما في ورد في (حديث الثقلين)، ومَنْ يُقْرَنُ بالقرآن يكون أولى من غيره بمعرفته، إضافة إلى كونهم من أهل البيت الذين نزل القرآن في بيوتهم،وأذهب الله عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيراً.

اعتمد تفسير القرآن بالقرآن جملة من الصحابة أمثال: الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وأُبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود وغيرهم، كما سار على هذا المنهج الكثير من المفسرين المعاصرين، ومن أبرزهم عملا بهذا المنهج العلامة الطباطبائي، فنرى تطبيقات هذه القاعدة هو ما يتميز به تفسير الميزان. ونستدلّ على أصالة هذا المنهج ومشروعيّته فقال: حاشا أن يكون القرآن تبيانًا لكلّ شيء ولا يكون تبيانًا لنفسه، قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ (البقرة/١٨٥).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ النساء/١٧٤.

وهذا المنهج صحيح لا غبار عليه وقد نصّت نصوص الأئمة عليهم السلام وعلماء السلف على صحته، فقد روي عن الإمام علي عليه السلام في خطبة يصف بها القرآن كتاب الله تبصرون به وتنطقون، تسمعون به ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض))(١٦).

إذا رجعنا إلى روايات المعصومين نجد تطبيق هذه القاعدة كثيراً في رواياتهم من خلال

إرجاع المتشابهات إلى المحكمات ومن خلال الجمع بين الآيات المطلقة والمقيدة، وبين العام والخاص، وبين الناسخ والمنسوخ، وتوضيح الآيات المجملة بواسطة الآيات المبينة، وتعيين مصداق الآية بواسطة الآيات الأخرى، فكل ذلك يمكن أن يعد طرقا فرعية لمنهج تفسير القرآن بالقرآن)[١٧].

ومن النصوص القرآنية التي تصدّى الإمام الجواد لتفسيرها وإيضاح معانيها بما أوتي من علم جده رسول الله، أو من تفسير القرآن بالقرآن. وهو ما يسمى التفسير بالمأثور. وإليك بعض هذه النصوص:

١- قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[١٨].

قال عليه السلام في تفسيرها: (ما ننسخ من آية) بأن نرفع حكمها، أو (أو ننسها) بأن نرفع رسمها، ونزيل عن القلوب حفظها، وعن قلبك يا محمد! كما قال الله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾[١٩] أن ينسيك، فرفع ذكره عن قلبك.

وأمّا ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾ يعني: بخير لكم. فهذه الثانية أعظم لثوابكم، وأجلّ لصلاحكم من الآية الأولى المنسوخة، أو مثلها من الصلاح لكم؛ أي إنا لا ننسخ ولا نبدل إلّا وغرضنا في ذلك مصالحكم.[٢٠] ثم قال: يا محمد ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢١] فإنه قدير يقدر على النسخ وغيره، ألم تعلم يا محمد إن الله له ملك السماوات والأرض وهو العالم بتدبيرها ومصالحها فهو يدبركم بعلمه ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾[٢٢] يلي صلاحكم إذ كان العالم بالمصالح هو الله عزّ وجل دون غيره، (ولا نصير) وما لكم من ناصر ينصركم من مكروه إن أراد الله إنزاله بكم، أو عقاب إن أراد إحلاله بكم»[٢٣].

٢- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢٤].

روى عبد العظيم الحسني عن أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام قال: قلت يا ابن رسول الله فما معنى قوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾؟ قال: العادي السارق. والباغي الذى يبغي الصيد بطراً، أو لهواً لا ليعود بـه على عياله، ليس لهما أن يأكلا الميتة

إذا اضطرا. هي حرام عليهما في حال الاضطرار كما هي حرام عليهما في حلال الاختيار...[٢٥].

٣- قال تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢٦] روي عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني أنه قال: قلت لمحمد بن علي بن موسى بن جعفر عليه السلام: إني لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما !

وذكر عبد العظيم الحسني أنّ الإمام الجواد أوّل قوله تعالى ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أنّ المقصود بها أنّ الله يجمع أصحاب الإمام المهدي عجل الله فرجه من شتى أقطار الأرض[٢٧].

فقال الإمام الجواد عليه السلام: يا أبا القاسم، ما منّا إلا وهو قائم بأمر الله عزّ وجل، وهاد على دين الله، ولكن القائم الذي يُطهر الله عزّ وجل به الأرض من أهل الكفر والجحود، ويملأها عدلًا وقسطًا، هو الذي تخفى على الناس ولادته، ويغيب عنهم شخصه، ويحرم عليهم تسميته وهو سميّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وكنيّه، وهو الذي تطوى له الأرض، ويذلّ له كل صعب، ويجتمع إليه من أصحابه عدة أهل بدر ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلا من أقاصي الأرض، وذلك قول الله عز وجل: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فإذا اجتمعت له هذه العدة من أهل الإخلاص أظهر الله أمره، فإذا كمل له العقد وهو عشرة آلاف رجل خرج بإذن الله عز وجل، فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى الله عزّ وجلّ.

قال عبد العظيم: فقلت له: يا سيدي وكيف يعلم أنّ الله عزّ وجل قد رضي؟ قال: يلقي في قلبه الرحمة، فإذا دخل المدينة أخرج اللّات والعزّة فأحرقهما»[٢٨].

٤- قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ (الطلاق/٢).

وردت عن الإمام الجواد عليه السلام نصوص كثيرة في تفسير هذه الآية:

أخرج ابن شهر آشوب عن علي بن مهزيار في حديث طويل، سُئل الإمام الجواد عليه السلام:

ما تقول يا بن رسول الله في رجل طلق أمرأته عدد نجوم السماء؟ قال أبو جعفر عليه السلام: ((تقرأ القرآن؟)) قال: نعم قال عليه السلام (اقرأ) الطلاق إلى قوله: (...) واقيموا الشهادة الله...) يا هذا، لا طلاق إلا بخمس: شهادة شاهدين عدلين، في طهر من غير جماع بإرادة عزم")[٢٩].

أخرج القاضي المغربي عن أبي جعفر محمد علي الجواد عليه السلام: (إنّه سئل عن عقد النكاح بغير شهود، فقال: إنما ذكر الله الشهود في الطلاق، فإن لم يشهد في النكاح فليس عليهم بشيء فيما بينه وبين الله، ومن أشهد فقد توثق للمواريث، وأمن من خوف عقوبة السلطان، الشهادة في النكاح أوثق وأعدل وعليه العمل)[٣٠].

٥- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾[٣١].

روى الشيخ الكليني عن علي بن مهزيار قال: كتب أبو الحسن بن الحصين إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام فكتب: فالخيط الأبيض: هو المعترض الذي يحرم به الأكل والشرب في الصوم، وكذلك هو الذي توجب به الصلاة.[٣٢]

٦- ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٣٣].

عن جعفر بن محمد الصوفي، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام وقلت له: يا ابن رسول الله لم سمّي النبي الأمّيّ ؟! لأنه لم يكتب؟ فقال: كذبوا عليهم لعنة الله أنى يكون ذلك! والله تبارك وتعالى يقول في مُحكم كتابه ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٣٤] فكيف كان يعلّمهم ما لا يحسن؟!

والله لقد كان رسول الله يقرأ ويكتب باثنين وسبعين، أو بثلاثة وسبعين لسانا، وإنما سُمّي الأمي لأنه كان من أهل مكة، ومكة من أمهات القرى، وذلك قول الله تعالى في كتابه ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[٣٥][٣٦].

بيّن الإمام الجواد في تفسير هذه الآية معنى الأميّة بآيةٍ أخرى من القرآن الكريم. وبذلك، استطاع أن يفسّر الآيتين الواحدة بالأخرى،ومن خلال هذه النماذج أعطى الإمام

الجواد صور مصداقيّة لفهم مصطلحات والمفاهيم القرآنيّة من خلال القرآن نفسه.

٧- قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[٣٧].

أورد المفسّرون، عن أبي جعفر الجواد، قال: قال الله عزّ وجلّ في ليلة القدر ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[٣٨].

يقول: ينزل فيها كل أمر حكيم. والمحكم ليس بشيئين، إنما هو شيء واحد، فمن حكم بما ليس فيه اختلاف فحكمه من حكم الله عزً وجل، ومن حكم بأمر فيه اختلاف فرأى أنه مصيب فقد حكم بحكم الطاغوت. إنه لينزل في ليلة القدر إلى ولي الأمر تفسير الأمور سنة سنة،يؤمر فيها في أمر نفسه بكذا وكذا، وفي أمر الناس بكذا وكذا. وإنه ليحدث لولي الأمر سوى ذلك كل يوم علم الله عز و جل الخاص والمكنون العجيب المخزون، مثل ما ينزل في تلك الليلة من الأمر، ثم قرأ[٣٩]: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٤٠].

٨- قالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوْا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَوا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبوا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٤١].

روى الحر العاملي رحمه الله عن أحمد بن محمد بن عيسى في نوادره، عن أبيه قال: إنَّ رجلاً أربى دهراً من الدهر، فخرج قاصداً أبا جعفر الجواد فقال له: مخرجك من كتاب الله يقول الله: ﴿فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ والموعظة هي التوبة فجهله بتحريمه ثم معرفته به، فما مضى فحلال، وما بقي فليتحفظ[٤٢].

٩- عن علي بن مهزيار قال:" قلت لأبي جعفر الثاني (الجواد عليه السلام) قوله عزّ وجل: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾[٤٣] وقوله: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾[٤٤] وما أشبه هذا؟

فقال: إن الله عزّ وجل يقسم من خلقه بما يشاء، وليس لخلقه أن يقسموا إلّا به عزّ وجل»[٤٥].

١٠- قال تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾(٤٦).

أورد المفسّرون عن سعد بن سعد، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الآية: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾؟

فقال: هم - يا سعد - الأئمة من آل محمد عليه و عليهم السلام"(٤٧).

١١- قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾(٤٨).

ورد عن العياشي عن إبراهيم بن عبد الحميد، قال: سألت أبا جعفر التي عن هذه الآية: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ﴾.

قال: كُلُّ مَنْ يشرب المسكر فهو سفيه(٤٩).

١٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾(٥٠).

روى الشيخ الصدوق رحمه الله: عن جعفر بن محمد الصوفي، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي الرضا عليهما السلام، فقلت: يا ابن رسول الله ! لِمَ سُمِّيَ النبيّ الأُمِّيّ؟

فقال عليه السلام: وإنما سُمِّي الأُمِّي؛ لأنه كان من أهل مكة، ومكة من أمّهات القرى، وذلك قول الله عز وجل: ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾(٥١).

وروى المفسّرون عن علي بن أسباط، أو غيره، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: فَلِمَ سُمِّي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أُمِّيًّا؟:

وروي مثل ذلك عند تفسيره عليه السلام لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(٥٢).

ولكن روى الشيخ الصدوق رحمه الله عن جعفر بن محمد الصوفي، قال: سألت أبا جعفر

محمد بن على الرضا عليهما السلام قلت: يزعمون أنه سُمِّيَ الأُمِّي؛ لأنه لم يكتب.

فقال عليه السلام: كذبوا عليهم لعنة الله! أنَّى ذلك، والله عزّ وجل يقول في محكم كتابه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ فكيف كان يُعلِّمهم ما لا يحسن ؟ ! والله لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكتب باثنين وسبعين - أو قال بثلاثة وسبعين - لساناً...[٥٣].

١٣- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٥٤].

روى علي بن إبراهيم القمي رحمه الله حدثني أبي، عن علي بن حسان، عن أبي جعفر عليه السلام قال: من حارب الله، وأخذ المال، وقتل، كان عليه أن يقتل ويصلب. ومن حارب وقتل ولم يأخذ المال كان عليه أن يقتل ولا يصلب.

ومَنْ حارب فأخذ المال ولم يقتل كان عليه أن تقطع يده ورجله من خلاف ومَنْ حارب ولم يأخذ المال ولم يقتل، كان عليه أن يُنفَى.

ثم استثنى عزّ وجل فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾.

يعني يتوب من قبل أن يأخذهم الإمام.[٥٥]

١٤- قالَ تَعالَى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٥٦].

روى الطبرسي: روى أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري، قال: قلت لأبي جعفر الثاني: قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾. قال: يا أبا هاشم! أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند، والبلدان التي لم تدخلها، ولا تدرك ببصرك ذلك، فأوهام القلوب لا تدركه، فكيف تدركه الأبصار؟[٥٧].

١٥- قَالَ تَعالَى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٥٨].

روي ابن شعبة الحراني: وقال أبو جعفر الثاني: والإصرار على الذنب أمن لمكر الله ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٥٩].

١٦- قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[٦٠].

روى الطبرسي روى أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري، قال: قلت لأبي جعفر الثاني: ما معنى الأحد " قال: المجمع عليه بالوحدانية، أما سمعته يقول: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[٦١] ومثله في ما ورد في (سورة لقمان: آية ٢٥)، حيث روى الشيخ الصدوق: عن أبي هاشم الجعفري، قال: سألت أبا جعفر الثاني عليه السلام ما معنى الواحد؟ قال عليه السلام: الذي اجتماع الألسن عليه بالتوحيد...[٦٢].

ثالثاً: تفسير القرآن بالسنّة النبويّة الشريفة

إنَّ تفسير القرآن بالسنة من أصدق مصاديق التفسير بالمأثور بعد القرآن، حيث إنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكما هو معلوم من سيرته الشريفة كان يقرأ على أصحابه آيات القرآن الكريم، ويبين لهم المعنى المراد من ذلك، كما قال تعالى في بيان إحدى وظائف النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٦٤]، ولقد كانت سيرته قائمة على بيان كل ما أخفى عليهم معرفته من القرآن الكريم، حيث يعد هذا القسم هو النواة الأولى لتفسير كتاب الله تعالى.

اتَّفق علماء الإسلام جميعا أن السنة الشريفة هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم في التشريع والفكر الإسلامي... والتعرف بمفاهيم القرآن الكريم، وشرح المقصود من آياته، وتوضيح ما خفي من مجاملاته. وإن القرآن نفسه صرّح بلزوم اعتماد كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيان معاني القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل/٤٤) وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر/٧). وغيرها من الآيات التي تأمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بتفسير ما أبهم من القرآن للمسلمين.... روي عن

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه)[٦٥].

ويقول ابن حاتم فكان رسول الله هو المبين عن الله أمره، وعن كتابه معاني ما خوطب به الناس، وما أراد الله عز وجل به وعني فيه[٦٦]. والعمل بالسنة الشريفة في تفسير القرآن يقتضي أن لا تكون مخالفة للقرآن الكريم، وتثبت بالأثر الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قوله: إن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه)[٦٧]. وجاء عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: (ما) جاءك عنا من كتاب الله عز وجل وأحاديثنا، فإن يشبههما، فهو منا، وإن لم يشبههما فليس منا)[٦٨].

❖ وقد اعتمد الإمام الجواد عليه السلام تفسير القرآن بالسنة، منهجًا له بعد تفسيره القرآن بالقرآن، ونذكر بعض الأدلة شاهدا على ذلك.

أخرج الجو بياري في كتاب اللؤلؤ والمرجان) للمحدِّث المانزدراني عن الإمام الجواد التقي عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: " ذكر علي بن أبي طالب عليه السلام عبادة، ومن علامات المنافق أن يتنفر عن ذكره، ثم قرأ الإمام عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (الزمر/٤٥) فسئل عن تفسيرها. قال:" أما تدرون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: اذكروا علي أبن أبي طالب في مجالسكم فإن ذكره واستبشروا من ذكر غيره ه أولئك الذين لا يؤمنون بالآخرة ولهم عذاب مهين".

روي العياشي بإسناده عن زرقان صاحب ابن أبي داود وصديقه....:قال: إن سارقا أقرّ على نفسه بالسرقة وسأل الحاكم (المعتصم) تطهيره بإقامة الحد عليه، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه، وقد أحضر محمد بن علي عليه السلام، فسألنا عن القطع في أي موضع يجب أن يقطع؟ قال: فقلت عن الكرسوع قال: وما الحجّة في ذلك؟ قال: قلت لأن اليد هي الأصابع والكف إلى الكرسوع لقول الله في التيمم: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ (المائدة/٦).

فالتفت إلى محمد بن علي فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟ فقال: (قد تكلم القوم فيه يا أمير المؤمنين) قال: دعني ممّا تكلّموا به أي شيء عندك؟ قال: (أعفني عن هذا يا أمير المؤمنين)... وقال عليه السلام: إن القطع يجب أن يكون من مقصل أصول الأصابع، فيترك

الكف، قال: وما الحجَّة في ذلك؟ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: السجود على سبعة أعضاء: الوجه، واليدين، والركبتين، والرجلين، إذا قطعت يده من الكرسوع[٦٩] أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ...﴾ (الجن/١٨)، يعني به الأعضاء السبعة التي يسجد عليها، وقوله تعالى: ﴿...فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ وما كان لله لم يقطع، قال: فأعجب المعتصم ذلك، وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف...[٧٠].

يتبيّن من خلال هذه الأمثلة التي وقفنا عليها أن الإمام الجواد عليه السلام كان يعتمد بيان آي الذكر الحكيم بعد العودة إلى القرآن نفسه، أتخذ السنَّة القولية الصحيحة مرجعا لتفسير القرآن الكريم.

خاتمة ونتائج:

على الرغم من أنّ ما وصل إلينا عن الأئمة الميامين عليهم السلام بشأن القرآن الكريم، وتفسيره لا يشكّل إلّا نزرًا يسيرًا لما يمتلكون من حصيلة علميّة، وثراء فكريٍّ ليس لهما حدود، إلّا أنّ المُتصدّي لتفسير القرآن الكريم لا يمكنه الاستغناء عن تفسيرهم عليهم السلام لما فيه من سمات أصيلة لفهم كتاب الله، أبرزها تفسير القرآن تفسيرًا باطنيًا، والقول بسلامة القرآن من التحريف، وغيرها من المبادئ الأساسية لإدراك معاني الكتاب الكريم.

- إنّ الامام الجواد عليه السلام كان ممّن تصدّى لتفسير القرآن الكريم، وتفسيره يُعدُّ تأصيلًا للمفسرين؛ لأنّه فسَّر القرآن بالقرآن، ويُعدّ هذا من أجود أنواع التفسير، وحل الإشكالات التي تحدث، ورفع الالتباس من المراد المعنيّ في التفسير.
- يعدُّ الإمام الجواد مؤصّلًا لمدارس التفسير الأساسيّة؛ وهي تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالرواية.

وعليه، يتأسّس لنا القول بأنّ مرويّات الإمام الجواد خاصة والأئمة عامة - بما فيها من روعة تشخيصيّة مثلى، ونتاج دلاليّ سديد، تمثّل دعوة عقلية مُلحّة - إذا لم تكن دعوة عقديّة واجبة - لعلماء التفسير بأن يتأمّلوا فيها،ويستنطقوا دليلها من أجل فهم النصوص القرآنيَّة؛ لأنَّ أئمة أهل البيت عليهم السلام هم عدل القرآن، وعليه، فإنَّ مرويّاتهم مُمثّلةٌ لمراد النصّ

القرآنيّ مضمونًا وكيانًا،...ومن هنا، فلا مناصّ من الرجوع إلى مرويات أهل البيت عليهم السلام؛ لأن مروياتهم تلك مرتكزة على القرآن الكريم نفسه، وما كان مرتكزًا على القرآن استدلالًا وأحقّيّة لا يقدح به البتّة، أو يطعن فيه مطلقًا، أو يُجرى عليه الشكّ أبدًا.

توصي الباحثة بجمع الروايات التفسيرية الواردة عن الإمام الجواد لنهوضها بكتاب تفسيري على النحو التسلسلي يشمل كثيراً من سور القرآن الكريم، أو على نحو التفسير الموضوعي في آيات العقائد، أو آيات الأحكام، أو القصص القرآني، أو غيرها، فإن مراجعة ما جمع من الروايات المأثورة عن الإمام الجواد، من خلال المسانيد والكتب والوصايا والأحاديث المبثوثة في المجاميع الحديثية تفتح أفقاً رحباً في هذا المجال، تأمل الباحثة أن تأخذ مكانتها في المكتبة الإسلامية في مجال تفسير القرآن الكريم، لما لأهل البيت من أهلية تمثّل امتداداً للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في كشف المراد من الخطاب الإلهي في القرآن الكريم، فإنّ المشتغل بتفسير القرآن الكريم لا يسعه ترك ما ورد عنهم من تفسير، لما فيه من أصالة لفهم مراد الله تعالى، وإدراك معاني كتابه الكريم.

هوامش البحث

(١) علي بن الجعد، المسند، ص٣٩٧. وابن سعد الطبقات، النسائي، خصائص أمير المؤمنين، ص٩٣.
(٢) النجاشي، الرجال، ص٢١٧، الطوسي، الرجال، ص٣٦٠.
(٣) النجاشي: الرجال، ص٢٢.الطوسي،الفهرست،ص٤٣.
(٤) الأنعام /٣٨.
(٥) الرازي، مختار الصحاح، مادة (فسر).
(٦) ابن منظور، لسان العرب، مادة (فسر)
(٧) الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص ٤١٩
(٨) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١/٧
(٩) الفراهيدي، العين، مادة (أثر)

(١٠) ابن منظور، لسان العرب، مادة (أثر)
(١١) محمد رضا جديدي نزاد، معجم مصطلحات الرجال والدراية، ص ١٤.
(١٢) الطباطبائي القرآن في الإسلام، ص٧٠.
(١٣) محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن ٢٣/١٠.
(١٤) إحسان الأمين، التفسير بالمأثور وتطوره عند الشيعة الإماميَّة، ص٦٦.
(١٥) محمد علي الرضائي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، ص٤٨،٤١.
(١٦) نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ١٧/٢.
(١٧) محمد علي الرضائي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، ص٤٨،٤١.
(١٨) البقرة/١٠٦
(١٩) الأعلى /٦
(٢٠) عبد الله البحراني الأصفهاني، مستدرك عوالم العوالم:١٦٤/٢٣.
(٢١) البقرة /١٠٦
(٢٢) البقرة/ ١٠٧
(٢٣) عبد الله البحراني الأصفهاني، مستدرك عوالم العلوم : ٢٣/ ١٦٤، وأعلام الهداية - الإمام الجواد ٣٢.٣٣
(٢٤) سورة البقرة: الآية ١٧٣
(٢٥) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي ٩/٩٧ يبين الإمام عليه السلام أنَّ هذه الموارد الأربعة التي حرّم الله تعالى أكلها، إنما تجوز في حال الضرورة ولكن بشرط أن لا يكون المضطر باغياً أو عادياً، فإنَّ أولئك أيضاً لا يجوز لهم تناول ذلك ولو في حال الضرورة. قال السيد الطباطبائي في تفسيره لهذه الآية: ((قوله تعالى: فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ)؛ أي غير ظالم ولا متجاوز حدّه، وهما حالان عاملهما الاضطرار فيكون المعنى فمن اضطر إلى أكل شيء ممّا ذكر من المنهيات اضطراراً في حال عدم بغيه وعدم عَدْوه فلا ذنب له في الأكل، أمّا لو اضطر في حال البغي والعدو كأن يكونا هما الموجبين للاضطرار فلا يجوز له ذلك)). ١/٤٢٦
(٢٦) البقرة /١٤٨
(٢٧) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة،،ص٣٧٨.
(٢٨) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٧٨، ٣٧٧، وأعلام الهداية - الإمام الجواد ٣٣_٣٤
(٢٩) ابن شهر آشوب المازندراني، المناقب، ج٢، ص٣٨٢. والحر العاملي، الوسائل، مج١٥، ص٢٩١. والمجلسي، بحار الأنوار، مج٥٠، ص٨٩.
(٣٠) القاضي النعمان المغربي، دعائم الإسلام،ج٢، ص٢١٩. والميرزا النوري، مستدرك الوسائل، مج١٤، ص٢١٢-٢١٣.

(٣١) سورة البقرة: الآية ١٨٧

(٣٢) الكافي ٣/٢٨٢ وفي الآية بيان لوقت الفجر الصادق الذي به يبدأ أول وقت صلاة الفجر، وكذا أول وقت الصوم. قال السيد الطباطبائي في الميزان: (قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ الفجر فجران، فجر أول يسمى بالكاذب لبطلاته بعد مكث قليل، وبذنب السرحان لمشابهته ذنب الذئب إذا شاله، وعمود شعاعي يظهر في آخر الليل في ناحية الأفق الشرقي إذا بلغت فاصلة الشمس من دائرة الأفق إلى ثمانية عشر درجة تحت الأفق، ثم يبطل بالاعتراض فيكون معترضاً مستطيلاً على الأفق كالخيط الأبيض الممدود عليه وهو الفجر الثاني، ويسمى الفجر الصادق لصدقه في ما يحكيه ويخبر به من قدوم النهار، واتّصاله بطلوع الشمس. ومن هنا، يُعلم أنّ المراد بالخيط الأبيض هو الفجر الصادق... ومن هنا، يُعلم أيضاً أنّ المراد هو التحديد بأول حينٍ من طلوع الفجر الصادق فإنّ ارتفاع شعاع بياض النهار يبطل الخيطين فلا خيط أبيض ولا خيط أسود)) ٣/٤٩.

(٣٣) الجمعة/٢.

(٣٤) الجمعة/٢.

(٣٥) الأنعام/٩٢

(٣٦) علل الشرايع : ١/١١٨، وبصائر الدرجات : ٢٢٥، وأعلام الهداية بالإمام الجواد ٢١١

(٣٧) الدخان/ ٤

(٣٨) الدخان/ ٤

(٣٩) لقمان/٢٧

(٤٠) الكافي، الأصول ١/٢٤٨، وأعلام الهداية الإمام الجواد ٢١٢

(٤١) سورة البقرة: الآية ٢٧٥.

(٤٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي ١٨/١٣١ وفي الآية يبين الإمام عليه السلام المخرج من هذا الذنب العظيم والذي من أعظم الكبائر، فالتوبة إلى الله تعالى من ذلك هي النجاة من عاقبة هذه المعصية إذا التزم بهذه الموعظة. قال الطبرسي في مجمع البيان عند تفسير هذه الآية: ﴿فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ معناه فمن جاءه زجر ونهي وتذكير من ربه ﴿فَانتَهَىٰ﴾ أي فانزجر، وتذكّر، واعتبر)). ٢/٢٠٧

(٤٣) الليل /١

(٤٤) النجم/١

(٤٥) من لا يحضره الفقيه: ٢/٣٧٦، وأعلام الهداية - الإمام الجواد ٢١٥.

(٤٦) الأعراف/ ٤٦

(٤٧) الصفار، بصائر الدرجات، ٢/٤٤٦ لقد أشار إلى مثل هذا التفسير الإمام الباقر، فقد روى الطبرسي في تفسيره عند بيان ما ورد في تفسير هؤلاء الرجال: اختلف في المراد بالرجال هنا على أقوال، فقيل: إنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فحالت حسناتهم بينهم وبين النار، وحالت سيئاتهم بينهم وبين الجنّة،

فجعلوا هناك حتى يقضي الله فيهم ما شاء ثمّ يدخلهم الجنة... وقيل: إن الأعراف موضع عالٍ على الصراط عليه حمزة والعباس وعلي وجعفر يعرفون محبّيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه... وقيل إنهم الملائكة في صورة الرجال يعرفون أهل الجنة والنار ويكونون خزنة الجنة والنار جميعاً، أو يكونون حفظة الأعمال الشاهدين بها في الآخرة...وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام هم آل محمد صلى الله عليه وآله لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه، وقال أبو عبد الله جعفر بن محمد بن الأعراف كثبان بين الجنة والنار فيقف عليها كسل. لبي وكل خليفة تي مع المدنيين من أهل زمانه ويؤيده ما رواه وغيره أن علياً الى قسيم النار والجنة ورواه أيضاً بإسناده عن النبي و أنه قال يا على كأني بك يوم القيامة وبدك عصا موسع تسوق قوماً إلى الجنة وآخرين إلى النار وروى أبو القاسم الحسكاني بإسناده رفعه إلى الأصبغ بن نباتة قال: كنت جالساً عند علي فأتاه ابن الكوا فسأله من هذه الآية، فقال: ويحك يا ابن الكوا نحن نقف يوم القيامة بين الجنة والنار فمن ينصرنا عرفاء بسيماء فاد خلاء الجنة ومن أبغضنا عرفناه بسيماء فأدخلناه النار)). ينظر : ٤/٢٦١

(٤٨) سورة النساء: الآية٥.

(٤٩) هاشم البحراني،البرهان في تفسير القرآن، ٢/١٦٨ والإمام عليه السلام في هذه الآية يورد أحد المصاديق التي ينطبق عليها معنى السفه وهو "شارب الخمر" وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام مثل ذلك كما ورد قوله : ((عن إبراهيم بن عبد الحميد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية "ولا تؤتوا السفهاء أموالكم" قال: "كل من يشرب الخمر فهو سفيه". تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي ١/٢٤٦ وورد تفسيره في غير ذلك، قال في الميزان: ((وعن الباقر عليه السلام: في الآية فالسفهاء النساء والولد إذا علم الرجل أن امرأته سفيهة مفسدة، وولده سفيه مفسد، لم ينبغ له أن يسلط واحداً منهما على ماله... والروايات في هذه المعاني كثيرة، وهي تؤيّد ما قدمناه أن للسفه معنى وسيعاً ذا مراتب كالسفيه المحجور عليه والصبي قبل. أن يرشد والمرأة المتلهية المتهوسة، وشارب الخمر، ومطلق من لا تثق به، وبحسب اختلاف هذه المصاديق يختلف معنى إيتاء المال)). ينظر : ٤/١٧٦.

(٥٠) سورة الشورى: الآية ٧

(٥١) هاشم البحراني، البرهان في تفسير القرآن ٧/٦٥

(٥٢) الجمعة/ ٢

(٥٣) الصدوق،معاني الأخبار، ص ٥٣ لقد اختلف القول في كون النبي صلى الله عليه وآله كان يقرأ ويكتب أم لا. وقد ذهب أكثر المحقّقين إن لم يكن أغلبهم إلى كونه لم يكن يقرأ ويكتب ليكون ذلك من تمام إعجازه وكماله بأنه يأتيهم بالقرآن الكريم الذي أعجز بلغاء العرب وفصحائه على أن يأتوا بمثله، حيث إنه لو كان يقرأ ويكتب لتذرّعوا بقولهم إنه تعلّم ودرس ذلك على يد فلان وفلان، ولكنه لو كان أمّياً فإنه لا يمكن فتح مثل هذا الباب أمثال هذه الافتراءات والأقاويل إضافة إلى قوة بيان معجزه. ويذهب إلى ذلك السيد الخوئي يُبين حيث يقول في كتابه "البيان في تفسير القرآن: صرّح الكتاب في كثير من آياته الكريمة بأنّ محمداً

ﷺ أميّ، وقد جهر النبي بهذه الدعوة بين ملأ قومه وعشيرته الذين نشأ بين أظهرهم، وتربّى في أوساطهم فلم ينكر عليه أحد هذه الدعوى...)) ينظر: ص٥٥، وذهب إلى مثل ذلك السيد الطباطبائي في "الميزان"، حيث يذكر عن إعجاز الرسالة والرسول عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ((ويمكن أن يكون الضمير راجعاً إلى قوله: "عبدنا" فيكون تعجيزاً بالقرآن من حيث إنّ الذي جاء به رجل أمّي لم يتعلم من معلّم، ولم يتلق شيئاً من تلك المعارف الغالية العالية والبيانات البديعة المتقنة من أحد من الناس ١/٦٠، وقال مثل ذلك في تفسير سورة العلق : ((وقوله: "الذي علّم بالقلم" الباء للسببية؛ أي علّم القراءة، أو الكتابة والقراءة بوساطة القلم، والجملة حالية، أو استئنافية، والكلام مسوق لتقوية نفس النبي ﷺ، وإزالة القلق والاضطراب عنها، حيث أمر بالقراءة وهو أمّي لا يكتب، ولا يقرأ كأنه قيل: اقرأ كتاب ربك الذي يوحيه إليك ولا تخف، والحال إنّ ربك الأكرم الذي علّم الإنسان القراءة بوساطة القلم الذي يخط به فهو قادر على أن يعلّمك قراءة كتابه وأنت أمّي، وقد أمرك بالقراءة ولو لم يقدرك عليها لم يأمرك بها (٢٠/٣٧١)، وممن ذهب إلى مثل ذلك السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني ينظر (المعجزة الخالدة) ص٢٦، وللشيخ محمد حسن آل ياسين بحث لطيف في هذا الأمر والأقوال التي وردت في أميّة النبي ما قبل البعثة فقط أو استمرارها إلى آخر عمره الشريف ومناقشة ذلك. ينظر : في رحاب الرسول ﷺ ص١١٥.

(٥٤) سورة المائدة: ٣٣

(٥٥) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي ص ١٥٥ إنّ الرواية واضحة في تفصيل المجمل الذي أشارت إليه الآية المباركة والمراد من لفظ (المحاربة لله ورسوله) وما يتعلق بهذا العمل من آثار كأخذ المال والقتل، فالإمام عليه السلام يبيّن جزاء هذه الأصناف الأربعة في الشريعة المقدسة والحكم الشرعي الذي المتعلق بهم.

(٥٦) الأنعام/ ١٠٣

(٥٧) الطبرسي، الاحتجاج، ٢/٤٦٥ وفي تفسير الآية أشار الإمام إلى كمال توحيد الله تعالى بنفي صفات المخلوقين عنه ومنها رؤيته، وفي ذلك يشير إلى مبحث عقائدي مهم اختلف المسلمون فيه وهو "رؤية الله تعالى" فمنهم من أجاز ذلك يوم القيامة، ومنهم من نَزّهه تعالى عن ذلك؛ لأنها من صفات السلب ونفي ذلك عنه من كمال توحيده؛ لأنها مما لا يليق بشأنه، وهذه أهم مبادئ التوحيد التي أراد الأئمة بيانها للمسلمين وكذا لغيرهم من الذين جاؤوا يحاججوا المسلمين في عقائدهم، وهو ما ذهب إليه أتباع مدرسة أهل البيت تبعاً للقرآن الكريم الذين هم أعرف به من سواهم، وروايات أهل البيت في ذلك كثيرة، ومن أعظمها ما ورد عن أمير المؤمنين لي في خطبة له في نهج البلاغة" حيث يقول: ((أول الدين معرفتُه، وَكَمَال معرفته التصديقُ به، وَكَمَال التصديق به تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عَنْهُ، لشَهَادَةَ كُلّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الموصوف، وَشَهَادَةَ كُل موصوف أنه غير الصفة، فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ ومن قَرَنه فقد ثَنَّاه، ومن ثَنَّاه فقد جزَّأَهُ، وَمَن جزَّأَهُ فقَدْ جَهِلَهُ، وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إليه، ومن أشار إليه فقد حَدَّه ومن حَدَّهُ فقد عَدَّه...))/الخطبة ١/٧.

(٥٨) الأعراف/ ٩٩.

(٥٩) الحسن بن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ٤٥٦ وعن الحديث قال ١٢ تأخير التوبة اعترار، وطول التسويف حيرة، والاحتلال على الله هلكة، والإصرار على الذنب... واعلم أنّ تفسير الأمن من مكر الله تعالى " بالإصرار على الذنب يُعد من باب الاغترار بعفوه تعالى وكرمه وإمهاله للعاصين، فيجب علينا أن لا نغتر بذلك حتى يغرق العبد بالذنوب والمعاصي فيستحوذ ويستولي عليه الشيطان كما قال تعالى في أمثال هؤلاء والتحذير من هذه الصفات ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ وسياق الحديث الشريف يؤكد ذلك من حيث تأخير التوبة، والتسويف، والاعتلال، والإصرار؛ فكل ذلك يؤدي بالتالي إلى أن يزيّن الشيطان للإنسان اللذّات والشهوات والمعاصي وإذا بأمر الله يأتيه، حيث لا يعلم فيكون من الخاسرين، حيث لا ينفعه الندم يومئذ.

(٦٠) سورة العنكبوت: الآية ٦١

(٦١) الطبرسي، الاحتجاج ٢/٤٦٥

(٦٢) الصدوق، التوحيد،ص ٨٣ وفي كل ذلك وما سيرد في غيره من الآيات إشارة إلى كمال توحيده تعالى ونفي الصفات عنه، كما أشرنا في تفسير قوله تعالى ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾.

(٦٣) الجمعة/٢.

(٦٤) النحل/٤٤.

(٦٥) الراوي: المقدام بن معدي كرب، المحدث :الألباني، المصدر :صحيح أبي داود، الصفحة٤٦٠٤، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

(٦٦) المصدر نفسه.

(٦٧) الكليني، الكافي، ج١، ص٦٩.

(٦٨) الطبرسي، الاحتجاج، ص١٩٥

(٦٩) الكرسوع: كعصفور: طرف الزند الذي يلي الخنصر الناتئ عند الرسع،أو عظيم في طرف الوظيف مما يلي الرسغ من وظيف الشاء ونحوها من غير الآدميين. الفيرزوآبادي.

(٧٠) المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٦، ص١٩١.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم

- إحسان الأمين، التفسير بالمأثور وتطوره عند الشيعة الإماميَّة، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.
- ابن شهر آشوب المازندراني، مناقب آل طالب، تحقيق: يوسف البقاعي، دار الأضواء، بيروت، ١٩٥٦م.
- الحسن بن شعبة الحراني، تحف العقول، علّق عليه: حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٢م.
- الحر العاملي، وسائل الشيعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مطبعة ستارة، قم، ١٤١٦هـ.
- الخوئي،البيان في تفسير القرآن، مطبعة العمال المركزية، بغداد، ١٩٨٩م.
- الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، دون تاريخ.
- الشريف الرضي(جمعه)، نهج البلاغة،شرح محمد عبده، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة الاستقامة، مصر، دون تاريخ.
- أعلام الهداية و الإمام محمد بن علي الجواد،المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ، ١٤٢٢هـ.
- الطوسي، تهذيب الأحكام، صححه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري، مكتبة الصدوق، طهران، ١٤١٧هـ.
- الصفار، بصائر الدرجات، تحقيق: محمد حسين المعلم، مطبعة شريعة، المكتبة الحيدرية، قم، ١٤٢٦هـ.
- الصدوق، معاني الأخبار، تقديم: محمد مهدي الخرسان، المطبعة الحيدريّة، النجف، ١٩٧١م.
- الصدوق، التوحيد، تعليق: هاشم الحسيني الطهراني، دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ الطبع.
- الصدوق، من لا يحضره الفقيه، تحقيق:حسن الموسوي الخرسان، مطبعة النجف، النجف الأشرف، ١٩٥٩م.
- الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، إيران، ١٣٧٨هـ.
- الصدوق، علل الشرايع،المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ.

- الطباطبائي(محمد حسين)، الميزان في تفسير القرآن، صححه وأشرف على طباعته حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٧م.
- الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، صححه وأشرف على طباعته: حسين الأعلمي، بيروت، ١٩٩٧م.
- الطبرسي، في مجمع البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٥م.
- الطبرسي، الاحتجاج، تحقيق: إبراهيم البهادري وآخرين، مطبعة إسوة الناشر، ١٤٢٥هـ.
- عبد الله البحراني الأصفهاني، مستدرك عوالم العلوم والمعارف، دون تاريخ، دون مكان للنشر.
- الفراهيدي، العين، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.
- الفيرزوآبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي.
- القمي(علي بن إبراهيم)، تفسير القمي، دون مكان الطبع،١٣١٣هـ.
- القاضي النعمان المغربي، دعائم الإسلام، تحقيق: د. عارف تامر، دار الأضواء، بيروت، دون تاريخ.
- الكليني، الكافي، الأصول من الكافي، المكتبة الإسلامية، طهران، ١٩٥٥م.
- الكليني، الكافي، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلاميّة، طهران،١٣٨٨هـ.
- المجلسي، بحار الأنوار، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٨م.
- محمد رضا جديدي نزاد، معجم مصطلحات الرجال والدراية، إشراف محمد كاظم رحمان ستايش، مطبعة دار الحديث، قم، ١٤٢٤هـ.
- محمد حسين الطباطبائي، القرآن في الإسلام، ترجمة: أحمد الحسيني، مطبعة سرور، قم، الناشر: مؤسسة المحبين، ٢٠٠٤م.
- محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، مطبعة ستارة، الناشر: ذوي القربى، قم، ٢٠٠٩م.
- محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، مؤسسة الهادي، قم، الناشر، مجمع الفكر الإسلامي، ١٤١٧هـ.
- محمد علي الرضائي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، مؤسسة الهادي، قم، الناشر، مجمع الفكر الإسلامي، ١٤١٧هـ.

- محمد بن مسعود العياشي، تفسير العياشي، تصحيح وتعليق: هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩١م.
- الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٩٨٧م.
- هاشم البحراني، البرهان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٩م.
- هبة الدين الحسيني الشهرستاني، المعجزة الخالدة، مطبعة الميناء، بغداد، ٢٠٠٤م.